العلاقات الأشورية ـ الميتانية
١٥٠٠ق م ـ ١٢٠٤ق م

المدرس المساعد
إيمان لفتة حسين الخليفاوي
جامعة القاسية / كلية التربية

العلاقات الأشورية ـ الميتانية ١٥٠٠ق م ـ١٢٠٤ق م

المدرس المساعد
إيمان لفتة حسين الخليفاوي
جامعة القاسية / كلية التربية

المقدمة:

تعد دراسة العلاقات السياسية للممالك والدول المتعاصرة في العالم القديم محطة مهمة في معرفة الوضع الدولي حينها، ومن هذا المنطلق نقدم هذا البحث الذي يتناول العلاقات السياسية الميتانيه ـ الآشورية ولاسيما وإن هاتين الدولتين تشكلان محوراً سياسياً وجغرافياً وتجارياً في المنطقة بعد أن تمكنت مملكة ميتاني من بلورة كيان سياسي فعال كان له الأثر الواضح على الكيانات المجاورة ومنها آشور.

التمهيد:

نشأت مملكة ميتاني في منتصف القرن السادس عشر ق م على أنقاض مملكة خوري، وكان حكامها من الطبقة الأرستقراطية المحاربة، وسكانها من الأقوام الجبلية التي كانت تقطن المناطق المحيطة ببحيرة وان والمعروفين بأسم الخوريين[١] وقد دامت هذه المملكة زهاء القرنين من الزمان[٢] وبلغت رقعة مملكة ميتاني في أوج توسعها من نوزي[٣] شرقاً إلى حلب غرباً وكانت تشمل سوريا (كيليكيا) ونلاحظ آثار المملكة الميتانيه منتشرة في اللاذقية وحمص[٤].

وكان مركز هذه المملكة عند منابع نهر الخابور في مدينة لم يكشف عنها لحد الآن وتعرف بأسم (واشوكاني)[٥]، وقد شملت هذه المملكة طور عابدين وربما السهول الواقعة حول ديار بكر وتمتد في الشمال حتى بلاد آشور (Isuwg)[٦] وألشي (Alse) شمال نهر دجلة[٧]، وظهر اعتقاد حديث لدى بعض الباحثين على أن مملكة ميتاني عبارة عن اتحاد فدرالي يتكون من اتحاد ثلاث ولايات وهي اتحاد الولايات الشرقية وعاصمته نوزي، واتحاد الولايات الوسطى وعاصمته (واشوكاني) واتحاد الولايات الغربية وعاصمته الالاخ[٨] وهذا الاتحاد يقوده ملك واحد[٩].

أصبح للميتانيين تأثير سياسي كبير ومركز مهم من مراكز القوى في الشرق الأدنى منذ أواخر القرن الخامس عشر ق م وبداية القرن الرابع عشر ق م وأخذ نفوذهم بالتوسع غرباً حتى سيطروا على مناطق واسعة من سوريا والأجزاء الشمالية من بلاد وادي الرافدين ومما يجدر الإشارة إليه هنا إن مملكة الحورية المنحلة وسكانها الحوريين لم يكونوا بمعزل عن صراعات ممالك الشرق الأدنى القديم خلال تلك الفترة التي سبقت القرن السادس عشر ق م، وفي القرن السادس عشر ق م اندمج الخوريون والميتانيون ليكونوا مملكة جديدة عرفت باسم مملكة ميتاني، وأصبح

الميتانيون هم قادة الممالك الخورية السابقة لذلك أصبح من الصعب على الباحثين التمييز بين السكان الخورين والميتانيين وحتى بين المملكة الحورية والمملكة الميتانيه، وبذلك يكون الميتانيين ومملكتهم ما هو إلا امتداد طبيعي للملكة الخورية السابقة[١٠].

وهكذا أصبحت تسمية المملكة الميتانيه مرادفة لتسمية المملكة الحورية، وهناك تسمية أخرى اطلقت على مملكة ميتاني وهي مملكة (خانگيلبات Hanilgabat) وهذه التسمية اطلقها الآشوريون على مملكة ميتاني بعد أن تراجع نفوذها وتقلصت حدودها حسبما ذكرته النصوص الآشورية إذ أنحصرت أراضيها في أعالي ما بين النهرين فقط[١١].

أما اللغة التي استخدمها الميتانيون فهي لغة قرنها بعض الباحثين باللغة الأوراتية (لغة بلاد الأرمن القاطنين في إقليم وان)، بينما قرنها باحثون آخرين باللغة العيلامية والكاشية، وبذلك يكون إن صح التعبير إن اللغة الميتانيه أقرب إلى عائلة اللغات الهندية ـ أوربية[١٢]، ولهذا تعتبر ثقافة الخوريين استناداً إلى ذلك عنصر مهم في ثقافة الهكسوس المتأخرين في بلاد الشام[١٣] بينما اعتمد ملوك ميتاني على اللغة البابلية والخط المسماري في تحرير وثائقهم ومراسلاتهم الدولية، والمرجح إن اللغة الرسمية المحلية كانت هي اللغة الحورية وهي لغة أغلبية سكان المملكة فقد وجدت رسالة مرسلة باللغة الحورية من أحد ملوك ميتاني (تشراتا ١٣٩٠ق م) إلى الفرعون المصري (امنحوتب الثالث ١٣٩٧ـ١٣٦٠ق م)[١٤].

وقد اعتلى عرش مملكة ميتاني مجموعة من الملوك إذ ابتدأ الحكم فيها الملك (بارتانا Barattana) حسبما ورد في النصوص السومرية وكان ذلك في حدود ١٥٠٠ق م، وكان هذا الملك حاكماً قوياً عمل على توسيع نفوذ مملكته فضلاً عن تمكنه من بسط الاستقرار والأمن والازدهار في أنحاء المملكة[١٥]، لذلك اعتبر كثير من الباحثين إن الملك (بارتانا Barattana) مؤسس مملكة ميتاني.

وأعقب الملك (بارتانا Barattana) مجموعة من الملوك أهمهم كان الملك (شوشتار Sovssatar)، والملك (ارتاتاما الأول Artatama) ثم الملك (توشرتا Toshrta ١٣٩٠ق م) الذي اعتبرته المصادر التاريخية مغتصباً للعرش حيث اعتلى عرش مملكة ميتاني بعد اغتيال أخيه الكبير[١٦].

المرحلة الأولى

مرحلة سيطرة مملكة ميتاني على بلاد آشور

بعدما اتضح لنا إن مملكة ميتاني قامت على أنقاض مملكة خوري وقد استفادت مملكة ميتاني من الموقع الاستراتيجي لمملكة خوري في تأسيس وبلورة كيان سياسي ذات أهمية تجارية واقتصادية كان له الأثر الواضح على شكل العلاقة مع

الآشوريين، وقبل الدخول في تفاصيل تلك العلاقة لابد لنا من الإشارة هنا إلى أهمية منطقة بلاد الشام عموماً وبلاد ما بين النهرين ودورهما في الصراع السياسي وتأثيرهم على الوضع العام لبلدان الشرق الأدنى القديم من خلال وقوعهما على الطرق التجارية المهمة كون منطقة بلاد الشام لها صلة بصحراء النقب وشبه جزيرة سيناء التي تعد منجم النحاس بالنسبة للفراعنة المصريين الذين كانوا يحرصون على توجيه الحملات المستمرة عليها وقيادتها بأنفسهم لضمان سيطرتهم عليها وحمايتها من البدو أو أي قوة خارجية يمكن أن تتعرض لها وزيادة معلومات القارئ ومعرفة الوضع الدولي خلال منتصف الألف الثاني قبل الميلاد والتوازن الدولي الجديد في الشرق الأدنى القديم ينظر الخارطة رقم(١) وربما يسأل البعض كيف عاد هذا الموقع الاستراتيجي المهم لمملكة خوري بالفائدة على مملكة متاني فيكون الجواب على ذلك من خلال ما أوردته المصادر التاريخية القديمة حيث كان أفراد مملكة خوري منتشرين في بلاد وادي الرافدين منذ أيام حكم الملك الآشوري شمش أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ق م وكان خلال هذه الفترة يعمل الخوريين وبموافقة الملك شمشي ادد في إدارة أغلب المناطق المحيطة بالآشوريين، ولم يقتصر أمر الخوريين على الملك شمشي ادد وإنما كان بقية الملوك الآشوريين يعملون على تقوية علاقاتهم بالخوريين، وقد توجت تلك العلاقة بزواج أحد أحفاد الملك شمشي ادد من أميرة خورية، ولهذا يمكننا أن نقول إن للخوريين نفوذ سياسي قوي في آشور، ولما ورث الميتانيون مملكة خوري وانصهر الإنسان الخوري في بوتقة المملكة الجديدة يكون من الطبيعي للملكة الجديدة شيء من إمكانيات المملكة السابقة أي إن مملكة ميتاني ورثت شيء من نفوذ مملكة خوري في آشور لاسيما وإن الخوريين بقوا في بلاد الرافدين وإن مملكة ميتاني هي مرجعيتهم الجديد بحكم الأمر الواقع والتحولات الجديدة الحاصلة في موطنهم الأصلي عند بحيرة وان لكن نفوذ الميتانيين في بلاد آشور لا يعني إنه كان نفوذ المحتل أو المسيطر[١٧].

وحتى عند اتساع مملكة ميتاني وامتداد نفوذها مع بداية العصر الآشوري الوسيط في الفترة مابين ١٥٠٠-١٣٥٠ق م أصبحت مملكة ميتاني تسيطر على معظم شمال سوريا وشمال بلاد الرافدين ومعظم المناطق الشرقية المجاورة لبلاد آشور ألا إن بلاد آشور خلال هذه الفترة كانت مستقلة رغم إنها تسيطر على منطقة ضيقة والدليل على استقلالها هو ما ذكر في التأريخ التعاصري إن الملك بوزر ـ آشور الثالث (١٥٢١-١٤٩٨ق م) ملك آشور وبرنابور باش الأول ملك بابل أقسما يميناً وعينا بينهما حدود ثابتة، رغم عدم معرفة خط الحدود المتفق عليه إلا إن هذه الفقرة تشير إلى وجود حرب سابقة بين الطرفين لا نعرف عنها شيء مؤكداً. وهنا يحدث تداخل تأريخي مع حادثة أخرى ربما هي دليل آخر على استقلال بلاد آشور خلال هذه الفترة عن مملكة ميتاني إلا وهي إن الملك الآشوري بوزر ـ آشور الثالث بعث هدايا

إلى فرعون مصر تحتمس الثالث (١٥٠٤-١٤٥٠ق م) إثناء حملة الأخير على مجدو في فلسطين، وهنا نتيجة لشعور الملك الآشوري بالأمان على حدوده الغربية وضمان ولاء الفرعون المصري له فقد وجه نظره إلى بابل فدخل معها في الحرب التي أسفرت عن الاتفاق المشار إليه، ولكن المرجح إن خلفاء بوزر ـ آشور الثالث هم الذين بعثوا بالهدايا إلى فرعون المصري وليس الملك نفسه وذلك لوجود فارق زمني بين فترتي حكم هاذين الملكين، ومهما يكن من الأمر فإن كلتا الحادثتين إنما تشيران إلى إن بلاد آشور كانت خلال تلك الفترة مستقلة ولم تكن قد خضعت بعد للسيطرة الميتانية، إلا إن العلاقة بين مملكة ميتاني وبلاد آشور ساءت نتيجة سوء تقدير حكام مملكة ميتاني في فهم العلاقة بين ملك آشور وفرعون مصر، فقد تصور ملك ميتاني إن الهدايا المرسلة من قبل ملك آشور إلى فرعون مصر تحوتمس الثالث إنما هي جزية في حين كان الهدف منها هو أظهار ملك آشور صداقته للفرعون المصري على أمل أن يؤدي هذا الموقف إلى وقوف الفرعون ومن وراءه مصر إلى جانب بلاد آشور خاصة وإن الأطماع لمملكة ميتاني في بلاد آشور أخذت تلوح في الأفق[١٨]، إذن من خلال هذه الحوادث يمكن أن نقول إن بلاد آشور في بداية العصر الآشوري الوسيط كانت مستقلة وغير خاضعة للسيطرة الميتانية وبخلاف ذلك لكان من الصعب أن يسمح لملك آشور أن يقدم الهدايا للفرعون المصري وخاصة إذا ما علمتا إن الصراع الميتاني ـ المصري كان على أشده خلال هذه الفترة[١٩].

وكان لهذا الموقف الودي بين ملك آشور بوزر آشور الثالث وفرعون مصر تحوتمس الثالث أثره على العلاقة بين بلاد آشور ومملكة ميتاني، وربما كان السبب المباشر في دفع ملوك مملكة ميتاني وبالأخص الملك (شوشتار Sovssatar)١٥٠٠-١٤٥٠ق م في اتخاذ سياسة سلبية قائمة على السيطرة تجاه الآشوريين واعتبار بلاد آشور جزء لا يتجزأ من مملكة ميتاني ومن ثم اندفاعهم أي الميتانيين إلى القيام بسلسلة من الحملات العسكرية على بلاد آشور ولاسيما تلك التي جرت في عهد الملك (شوشتار Sovssatar) والتي أسفرت لاحقاً عن إخضاع بلاد آشور إلى مملكة ميتاني[٢٠].

ولو دققنا في تلك المرحلة لتبين لنا وجود عوامل عديدة ساعدت ملوك مملكة ميتاني في تحقيق أهدافهم في بلاد آشور لعل من بينها ثلاثة عوامل مهمة:

١. كانت مملكة ميتاني في أوج عظمتها وقوتها في تلك الفترة.
٢. استقرار الأوضاع الداخلية لمملكة ميتاني مما سمح لها الاهتمام بالسياسة الخارجية، وبالتحرك خارج المملكة وهم يستندون إلى قواعد داخلية قوية.
٣. تحييد الجانب المصري في صراعهم مع الآشوريين من خلال إقامة علاقة طيبة بين مملكة ميتاني ومصر، ولهذا أتخذ الجانب المصري الحياد في تلك المرحلة أي عند مد نفوذ مملكة ميتاني في بلاد آشور[٢١].

وقد ذكرت لنا قوائم الملوك الآشورية أسماء الملوك الآشوريين الذين حكموا خلال تلك الفترة وأشارت المرحلة التاريخية إن أولئك الملوك كانوا ضعفاء بحيث لم يستطيعوا التخلص من سيطرة مملكة ميتاني ولهذا كانوا أتباع للدولة الميتانيه واستمر ذلك الخضوع ما يقارب القرن من الزمان.

غير إن هذه الفترة لم تكن خالية من بعض المحاولات للتخلص من السيطرة الميتانية رغم ضعف الملوك الآشوريين إلا إن الشعور بالوطنية كان واضح لديهم إلا إن تلك المحاولات المبكرة لم يقدر لها النجاح[٢٢]، في حين كان عهد الملك الآشوري (آشور- بيل - نيشيشو ١٤٤٩-١٤١١ق م) شهد أولى محاولات التخلص من السيطرة الميتانيه وعلى الرغم من عدم تمكنه من ذلك إلا إنه نستطيع القول بأن تلك المحاولة كانت مقدمة وتحفيز لمن خلفه من ملوك آشور في العمل على التحرر واستعادة سيادة آشور على نفسها، وقد تمثلت تلك المحاولة أي محاولة الملك (آشور- بيل - نيشيشو) بقيامه بعقد معاهد مع الدولة الكيشية لتثبيت الحدود بين الدولتين[٢٣] إذ جاء في التأريخ المعاصر إن (كارة انداش ملك كاردونياش، وآشور بيل نيشيشو ملك آشور ثبتا بينهما معاهدة وأقسما يميناً احدهما للآخر فيما يخص الحدود)[٢٤] وعلى الرغم من عدم معرفتنا بخط الحدود المتفق عليه ألا إن هذا يشير إلى سيادة من نوع ما عند آشور لكن ذلك لا يعني سيادة كاملة لمملكة آشور، وبنفس الوقت تكشف لنا إن مملكة ميتاني ليس لها سيادة مطلقة على بلاد آشور ،وإنما هناك نوع من التبعية، وقد استمر ضعف تلك السيطرة على بلاد آشور من قبل مملكة ميتاني حتى في عهد الملك الآشوري (آشور- نادن - آخي الثاني ١٤١٧-١٣٧٩ق م) وفي هذه الفترة حدثت صراعات داخلية وحروب أهلية في مملكة ميتاني على اثر وفاة (شوترنا الثاني Suttarna) حوالي ١٤٠٠ق م وقتل الوريث الشرعي في البلاد، ألا إن (توشرتا Tusratta) تمكن من إنهاء الحرب الأهلية واعتلاء عرش مملكة ميتاني في عام ١٣٩٠ق م ولكن رغم ذلك لم يستمر الوضع في صالح الدولة الميتانيه[٢٥] إذ انقلبت موازين القوى في المنطقة آنذاك لصالح بلاد آشور لاسيما عند اعتلاء عرش بلاد آشور الملك (اريبا - ادد الأول ١٣٩٢-١٣٦٦ق م) والد الملك (آشور - أوبالط ١٣٦٥-١٣٣٠ق م)، وقد بدأت في عصر هذا الملك محاولات جادة للتخلص من السيطرة الميتانيه بشكل نهائي لاسيما وإن وضع مملكة ميتاني يساعد على القيام بمثل هذه المحاولة، فميتاني مشغولة بحرب أهلية داخلية جعلتها بعيدة عن التفكير خارج مملكة ميتاني، فضلاً عن حدوث تغييرات سياسية كبيرة في الشرق الأدنى القديم متمثلة بتولي الملك الحثي (شوبيلوليوما Suppiluliuma ١٣٨٠-١٣٤٦ق م) العرش في المملكة الحثية، وقد حمل هذا الملك معه مشروع تقوية سلطته في الداخل ومن ثم التوجه نحو الخارج للسيطرة على مناطق نفوذ مملكة ميتاني لاسيما في بلاد الشام، وفعلاً نجح الملك (شوبيلوليوما) من

السيطرة على مناطق شمال سوريا، ثم ما لبث الملك الحثي من مهاجمة مملكة ميتاني نفسها فقد غزا عاصمتهم (واشوكاني Wasukanni) واستولى عليها[٢٦].

وقد كان هناك عوامل عديدة ساعدت على نجاح الملك الحثي (شوبيلوليوما) في مشروعه أهمها:

١. انشغال فرعون مصر (اخناتون ١٣٧٩-١٣٦٢ ق م) حليف توشرتا بثورته الدينية مما جعله يهمل شؤون بلاد الشام.
٢. انشغال الميتانيين في صراع داخلي تمثل بالتنافس حول عرش مملكة ميتاني فقد كان لهذا العامل دوره المهم في إضعاف مملكة ميتاني من الداخل حيث اصبحت في صراعات دامية على العرش بين أمراء المملكة وخاصة (أرتاتاما الثاني) الطامع بالعرش والذي وقف ضد الملك الشرعي (توشرتا).
٣. تحالف (ارتاتاما الثاني Artatama) وهو أحد الطامعين بعرش مملكة ميتاني مع شوبيلوليوما ضد توشرتا، وهذا التحالف أدى إلى قيام توشرتا بشن حرب ضد الحثيين اسفرت عن خسارة الميتانيين وازدياد أمرهم سوءاً [٢٧].
٤. حصول تغيرات سياسية في بلاد آشور أسفرت عن تولي (آشور - أوبالط ١٣٦٥-١٣٣٠ق م) عرش البلاد.
٥. انقسام مملكة ميتاني إلى قسمين احدهما دولة مستقلة عند منطقة بحيرة وان، وأخرى في أعالي ما بين بلاد ما بين النهرين، والأخيرة هذه ورد ذكرها في النصوص السومرية باسم مملكة خانيكلبات (وهذه التسمية أطلقها الآشوريون على مملكة ميتاني بعد أن أنحسرت حدودها في أعالي ما بين النهرين).

لم تكن هذه الأمور مساعدة للمملكة الحيثية فقط وإنما ساعدت بلاد آشور على التحركات السياسية المستقلة عن تهديد مملكة ميتاني، فقد انتهز الملك الآشوري (آشور - أوبالط) الأحداث الجارية في مملكة ميتاني على تثبيت استقلال بلاده والارتقاء بنفوذها إلى مستوى أفضل بحيث أصبحت بلاد آشور تمثل أحد مراكز القوى في المنطقة التي تؤثر في سير الأحداث[٢٨]، ولا يفوتنا هنا أن نذكر إن الحركة السياسية للملك (آشور - أوبالط) كانت في بداية الأمر سلمية لكن التحولات التي طرأت على النظام السياسي في مملكة ميتاني وكما ذكرنا سلفاً هي التي منحت الملك (آشور - أوبالط) فرصة التحول من السلم إلى المواجهة مع مملكة ميتاني.

وانتهج الملوك الذين خلفوا (آشور - أوبالط) النهج ذاته في تثبيت استقلال بلاد آشور عن مملكة ميتاني وتوسيع نفوذ بلادهم من خلال محاولتهم العسكرية الرامية إلى القضاء على مملكة ميتاني.

وعلى أثر التطورات السياسية السالفة التي حدثت في مملكة ميتاني اضطرت مملكة ميتاني إلى تغيير نهج سياستها الخارجية السابقة تجاه بلدان المنطقة وآشور

بالتحديد بل ذهبت في ذلك بعيداً من خلال محاولة بناء علاقة متميزة وودية مع بلاد آشور.

إن هذا التغيير السياسي في مملكة ميتاني ساقها إلى مرحلة جديدة من العلاقات مع بلاد آشور، فقد تأسست المرحلة الجديدة على علاقات مختلفة تتسم بالندية لتأخذ فيما بعد شكل العلاقة بين الدولتين على أساس العلاقات المتكافئة بين الدول لاسيما بعد أن سعى الملك الآشوري (آشور - أوبالط) عند ملك ميتان للحصول منه على الاعتراف باستقلال بلاد آشور.

المرحلة الثانية

مرحلة انهيار المملكة الميتانيه وتبعيتها للآشوريين

لقد شهدت بلاد آشور مع بدايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد توسعاً ملحوظاً في رقعتها الجغرافية وإمكانياتها الجيوسياسية رغم إن الظروف التي أحاطت بالملك الآشوري (انليل - نراري ١٣٢٩-١٣٢٠ق م) لم تكن طبيعية بحيث تسمح له من مواصلة حملاته العسكرية ضد مملكة ميتاني بسبب انشغاله بحروب مع جيرانه الكيشيين ولهذا نستطيع القول إن ضغط بلاد آشور على مملكة ميتاني توقف في هذه الفترة، غير إن الفترة اللاحقة شهدت تجدد الصراع بين الآشوريين والميتانيين، وقد تميز هذا الصراع عن سابقه في مكان حدوثه فقد جرى على الأراضي الميتانيه أي إن جيوش آشور كانت تقاتل على أرض عدوها وهذا يفسر على إن الآشوريين كانوا في وضع الهجوم، في حين شهدت العلاقات الآشورية - الميتانيه تغيرات جذرية في شكل العلاقة بينهما مع تبوء ملوك ذو طبيعة تحررية وسلطوية في آن واحد العرش في بلاد آشور أسفرت عن تمكن آشور من القضاء النهائي على مملكة ميتاني، وهذه الفترة تمتد منذ أيام عصر الملك ادد - نيراري الأول ١٣٠٧-١٢٧٥ق م ولغاية عصر الملك الآشوري (توكلتي ننورتا الأول ١٢٤٤- ١٢٠٨ق م) وما بينهما من ملوك تمكنوا من صياغة واقع سياسي واقتصادي جديد لبلاد آشور كان من أبعاده تشكيل ورسم خارطة جديدة للمنطقة المحيطة ببلاد آشور لم تكن فيها مملكة ميتاني[٢٩].

وكانت بدايات الصراع بالإضافة إلى الطموحات لملوك آشور حصل نتيجة قيام الملك الميتاني (شوتارا Suttara) بالهجوم العسكري على بلاد آشور للحد من نفوذها المتزايد على مملكته مما جعل الملك الآشوري ادد - نيراري يرد على ذلك الهجوم بتجهيز حملة عسكرية ومهاجمة بلاد خانيكلبات.

وقد تمكن الملك الآشوري من إلحاق الهزيمة بالملك الميتاني وأسره وأفراد عائلته والمجيء به إلى بلاد آشور حيث أعلن فيها الولاء لبلاد آشور وأقسم على دفع الجزية[٣٠].

لقد بلورة هذه الحادثة صفحة جديدة من العلاقات الآشورية ـ الميتانيه إذ أصبحت مملكة ميتاني تابعة لنفوذ بلاد آشور، وعاد الملك الميتاني إلى بلاده بعد تعهداته المذكورة ليتسلم حكم بلاده من جديد، وهذا يكشف لنا أمرين:

١. بعد النظر السياسي عند الآشوريين فبالرغم من إن ما حصل من أحداث كان سببها الملك الميتاني نتيجة عدوانه على بلاد آشور مما دفع الآشوريين للرد على هذا العدوان وكان من نتيجته أسر الملك المعتدي إلا إن السياسة الآشورية لم تندفع وراء العواطف وتأمر بقتل المعتدي مما يسفر عن تعقيد في المشكلة ولاسيما وإن لهذا الملك شعب قد يغضب لو قتل ملكه فيحفزه على رد الفعل ولا أحد يعرف نتائج ذلك، وإنما ترك الآشوريون ملك ميتاني في ملكه ليكون تابعاً من جهة وقائد لنظام سياسي ضعيف من جهة أخرى فيأمن عندها الآشوريون أخطار دولة فضلاً عن الخضوع السياسي لهذه الدولة.

٢. إن حادث إعادة ملك ميتاني إلى ملكه هي الأولى من نوعها التي تبين تنصيب ملك في مملكة من قبل دولة أخرى[٣١].

وهكذا أصبحت مملكة ميتاني تابعة لبلاد آشور بعد أن كان الأمر مختلف إذ كانت بلاد آشور هي التابعة للنفوذ الميتاني، وفي ضوء التغيرات في الوضع الجديد إشارة وردت في رسالة بعث بها الملك الحثي (خاتوشيليش الثالث - 3 Hattusils ١٢٨٩-١٢٥٧ق م) إلى الملك الآشوري (ادد - نيراري) يناقشه فيها أوضاع مملكة ميتاني وهذا يدل على إن مملكة ميتاني من ممتلكات الملك الآشوري، فقد ورد في الرسالة مطالبة الملك الحثي للملك الآشوري بمنع سكان مدن خانيكلبات من الإغارة على مناطق كركميش (وهي موقع عند جرابلس على الحدود السورية ـ التركية عند عبور نهر الفرات وهي عبارة عن قلعة محصنة وملحقين مسورين إلى جانب بوابات وطرق للمواكب) وكانت خاضعة للمملكة الحثية[٣٢].

إن العلاقات الآشورية ـ الميتانين هذه لم تستمر فترة طويلة إذ سرعان ما ثارت خانيكلبات على بلاد آشور في عصر الملك الميتاني (وشتا Wasatta) فاضطر الملك الآشوري (ادد - نيراري) إلى تجهيز حملة عسكرية ثانية ضد مملكة ميتاني كان من نتيجتها القاء القبض على الملك (وشتا Wasatta) وأسره مع افراد عائلته والعديد من السكان الميتانيين، وتجاه ذلك فقد كان الآشوريون يتبعون سياسة مفادها تهجير الشعوب التي كانت تثور ضدهم ونقل الكثير من سكان تلك الشعوب المغلوبة، إلا إن سياسة التهجير هذه بالنسبة للميتانيين كانت مختلفة إلى حد ما، فقد تخلى الملك (ادد - نيراري) عن هذه السياسة لاحقاً وحتى سياسة تنصيب الحكام في الأقاليم الخاضعة للحكم الآشوري فقد تراجع الآشوريون عنها، لذلك نلاحظ الملك الآشوري (ادد - نيراري) يتخلى عن فكرة حكم (خانيكلبات) أو ضمها إلى الحكم الآشوري المباشر، ولهذا يعتبر الملك (ادد - نيراري) مؤسس سياسة ضم الأقاليم والدويلات الثائرة ضد

النفوذ الآشوري في حالة تجدد الثورة فيها وتنصيب الحكام الموالين لدولته بعد أدائهم يمين الولاء له وتعهدهم بدفع الجزية(٣٣).

بعد أن تخلى الملك الآشوري (ادد - نيراري) عن فكرة حكم خانيكلبات من قبل بلاد آشور استغلت مملكة خانيكلبات هذه الفرصة وسارعت إلى إعلان استقلالها عن النفوذ الآشوري وكان ذلك في نهاية حكم الملك (ادد - نيراري)، لكن ذلك لم يرضي الملوك الآشوريين الذين خلفوا (ادد - نيراري) فالسياسة السابقة للملك (ادد - نيراري) كانت مرفوضة من قبل الملك الآشوري (شلمنصر الأول ١٢٧٤-١٢٤٥ق.م) لذلك قام (شلمنصر الأول) بإعادة نفوذ وحكم بلاده على مملكة ميتاني تدفعه في ذلك أسباب سياسية واقتصادية، إذ بخلاف ذلك تكون حدود بلاد آشور مهددة بخطر هجمات هذه الدولة المستقلة إذا ما استمر ذلك الاستقلال وأبعاده من الأستمكان وأسباب القوة ولاسيما وإن للمملكة الميتانية سياستها المعادية من بلاد آشور ويمكن لهذه السياسة أن تدعم الكيان الجديد واستخدامه في عدائها مع الآشوريين، بالإضافة إلى ذلك إن سيطرة الآشوريين على مملكة خانيكلبات تتيح لهم العمق الإستراتيجي الضروري لبلادهم بسبب صغر مساحة بلاد آشور، وقد تمكن (شلمنصر الأول) من تحقيق أهدافه في مملكة خانيكلبات وأعاد السيطرة عليها على أثر معركة حاسمه خاضها ضد ملك خانيكلبات (وشتورارا الثاني) علماً إن هذا الأخير كان مدعوم من قبل الحيثيين(٣٤).

عند انتهاء الآشوريين من حسم مسألة مملكة خانيكلبات دخلت بلاد آشور مرحلة جديدة في علاقاتها مع الميتانيين عام ١٢٤٤ق م تتسم بشيء من الهدوء النسبي، لكن ذلك لم يستمر طويلاً لاسيما عند تبوء الملك الآشوري (توكلتي - تنورتا الأول ١٢٤٤-١٢٠٤ق م) فقد تجدد النزاع من جديد بين الآشوريين والميتانيين، وكان رد الآشوريين سريعاً فهاجموا مملكة ميتاني والحقوا الهزيمة بجيشها، وهذه الهزيمة كانت تؤشر عن مدى الضعف السياسي والاقتصادي الذي كان متفشياً في مملكة ميتاني فقد فقدت ميتاني من جراء هذه المعركة السيطرة على طرق المواصلات التجارية التي كانت تحتكم فيها هذه المملكة بالإضافة إلى تقلص نفوذها بشكل كبير لتكون هذه المعركة آخر النشاطات العسكرية بين بلاد آشور ومملكة ميتاني وبذلك نستطيع القول إن خطر مملكة ميتاني على آشور زال بشكل نهائي(٣٥).

وهكذا انتهت هذه المرحلة من العلاقات الآشورية - الميتانيه بسقوط وانهيار مملكة ميتاني وزوالها من الوجود.

الخاتمة:

أفرزت العلاقات الميتانيه - الآشورية خلال الفترة التي أصبحت فيها مملكة ميتاني تمثل أحدى مراكز القوى في الشرق الأدنى القديم مجموعة من النتائج أهمها

كان عدم استقرار العلاقات بين مملكة ميتاني وبلاد آشور ولذلك كانت تتسم العلاقات بين الدولتين بالعداء والحروب الطاحنة من أجل النفوذ والتوسع والسيطرة على طرق الموصلات التجارية، وقد كان الصراع يتخذ من بلاد آشور ساحة له في البداية فيجعل من آشور تابع للمملكة الميتانيه ثم ما تلبث أن تنقلب الأوضاع وتكون مملكة ميتاني ساحة للصراع لينتهي بتبعية مملكة ميتاني لبلاد آشور وأخيراً القضاء على تلك المملكة بشكل نهائي من قبل الآشوريين.

الملحق رقم (١)
خارطة توضيحية عن مملكة ميتاني

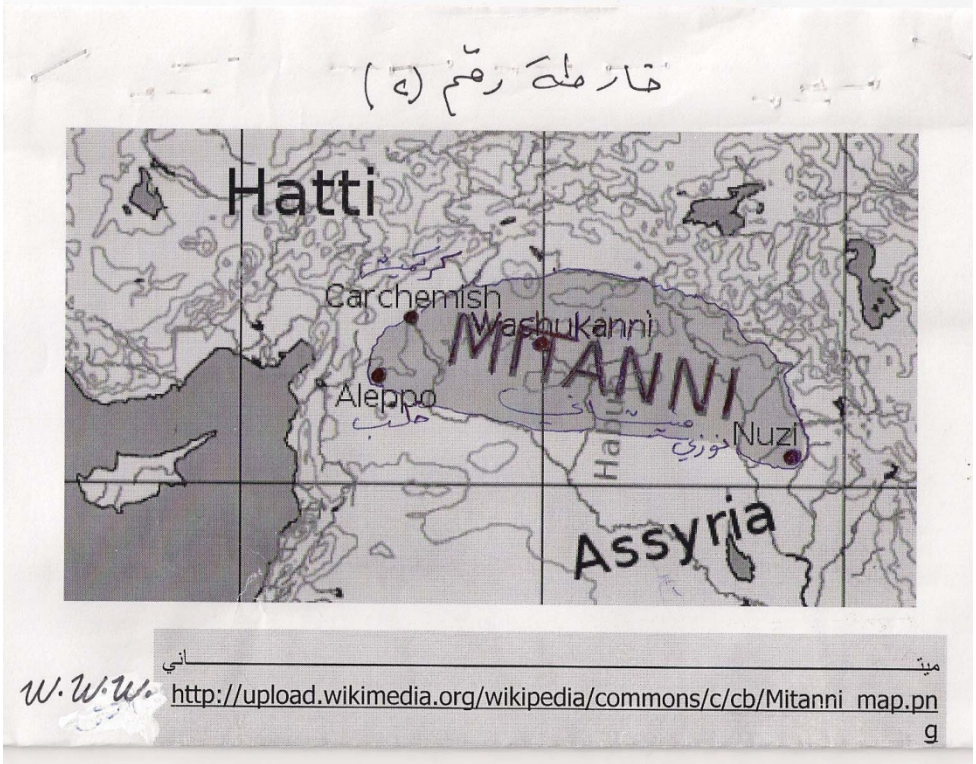

الملحق رقم (٢)
خارطة توضيحية عن مملكة ميتاني

هوامش البحث:

(١) الخورين، وهم مجموعة من الأقوام الجبلية التي كانت تقطن في المناطق الجبلية المحاذيةلبحيرة وان، وفي عام ١٧٠٠ق م ظهروا كقوة سياسية واصبح لهم نفوذ مهيمن على المنطقة الممتدة من بحيرة وان وجبال زاجروس وحتى أجزاء من شمال سوريا، ولا يعرف أصلهم بشكل دقيق حيث ورد ذكرهم في كتاب العصر الأكدي، فقد أطلق بعض الباحثين عليهم مصطلح (آسيويين) بعد أن صعب عليهم نسبتهم إلى الأقوام المعروفة، وقد استخدم الخورين في وثائقهم الدولية اللغة البابلية والخط المسماري.

- **الأحمد، سامي سعيد، ((العصر البابلي القديم))، العراق في التأريخ، بغداد سنة ١٩٨٣ص١٠٤.**
- **الخالدي، فارس عجيل، التطورات الداخلية في بلاد بابل ٨٥٨-٦١٢ق م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد سنة ٢٠٠٥م، ص٤٠.. وللمزيد من المعلومات عن الخوريين عن أصلهم وموطنهم ينظر في : -**
- **Sibarrians, Chicago,1944,P.78. Gelb,J.L.,Hurriana and**
- **Speiser ,A.,the Hurrian Participation in the civilization of Mesopotamia, Syria and palestion Journal of world History, 1923 P.132.**

(٢) باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج٢، ط٢، بغداد سنة١٩٥٦ص٣٦٤.

(٣) نوزي، هي موضع بورغان تبة، وتبعد حوالي ١٢ ميل إلى الجنوب العربي من كركوك الحالية وقد كانت واحدة من أهم معاقل الميتانيين، وتضم الكثير من التلول منها تل ابو خناجر وتل مياسة وتل علو وتل البعير، وللمزيد من المعلومات حول نوزي ونصوصها ينظر في:

- لويد، سينون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بيروت سنة١٩٨٠ص٢٠٦.
- صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، بغداد سنة ١٩٨٧،ص٨٩.
- Smith,S. The statue of Ldrimi, Talbot frame ,London 1949.P.17.

(4) www.Http :/upload.wikimedia.org/Wikipedij/commons/c/cb/mittanni map.png.25.

(٥) واشوكاني، هي عاصمة مملكة ميتاني ولم يحدد موقعها لحد الآن وربما يمثل تل الفخيرية في رأس العين موقع هذه العاصمة في شمال وادي الرافدين على نهر الخابور، وأود الإشارة هنا إلى أنه تجري حالياً تنقيبات في موقع هذا التل من قبل بعثة مشتركة سورية ـ ألمانية بإدارة كل من الدكتور دومنيك يوناتس Dominik Bonatz من الجانب الألماني والأستاذ عبد المسيح بغدو (مدير آثار الحسكة) من الجانب السوري، والعمل في هذا الموقع لا يزال في بدايته، إذ إن تراكم طبقات الأتربة كبير والبحث عن شوكاني على بعد أكثر من عشرة أمتار تحت سطح التل.

- Http:/upload.Wikimedia.org /Wikipedia /commohs /c/cb/mitanni.
- دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار ج١، ترجمة ليون يوسف، بغداد سنة١٩٩٠ م ص٢٧٢.
- النجفي، حسن، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم ج٢،بغداد سنة١٩٨٣ص١٤٦.

(٦) بلاد آشور Ishwar، وتشمل حالياً منطقة كيبان في تركيا.

- مرعي، عبد ومحمد حرب فرزات، دول وحضارات في الشرق العربي القديم ط١ دمشق سنة١٩٩٠م ص ١٦٤.

(٧) مرعي، عبد، المصدر نفسه ص١٦٥.

(٨) الالاخ، تل العطشانة حالياً ويقع ما بين حلب وانطاكيا، وأصبح الخوريين يمثلون أغلبية ساحقة في هذه المنطقة منذ عام ١٨٠٠ق م،ألا أنهم انحسروا بعد قرن من الزمان ليتمركزوا في توزي.

- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات ج١ بغداد سنة ١٩٧٣م ص ٤٨٧.
- المحمدي، زياد عويد زيدان، التطورات السياسيةفي بلاد الرافدين١٣٦٥-٩١١ ق م رسالة ماجستير غير منشورة.

(٩) كيرا، ادوارد، كتبوا على الطين، ترجمة طه باقر، بغداد سنة ١٩٦٢ص٢٠٣.

(١٠) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد سنة ١٩٩٦ص٢٥٢.

(١١) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، بغداد سنة ١٩٩٩ص٦٥، وكذلك ينظر إلى رهمة، احمد لفتة، الفعاليات الآشورية في أسيا الصغرى، رسالة ماجستير غير منشورة، القادسية سنة ٢٠٠١، ص٧٩.

(١٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص٩٣.

(١٣) باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج٢ ص٣٦٤.

(١٤) مرعي، عبد، تأريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق م، ط١ دمشق ١٩٩١، ص١٠٣ وللمزيد من المعلومات عن لغة الحورين ينظر في :

Wilhelm,G.,Grundzuge der Geschichte und Kuitur der Hurriter.Darmstadt,1982 ,P.P 1-2.

(١٥) الشمري، طالب، المصدر السابق ص٢٥٦.

(١٦) رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد سنة ١٩٨٤ص٣٤٦، للمزيد من المعلومات عن ملوك المملكة الميتانيه وتحديد أسمائهم حسب الفترات الزمنية ينظر في :

- الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، دراسة في التأريخ السياسي لبلاد الأناضول، بغداد سنة ٢٠٠٧، ص٦٧١.

(١٧) طه، منير يوسف وآخرون، ((علاقات الآشوريين بالأقاليم المجاورة))، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، الموصل سنة ١٩٩٣ ص ١١٥.

(١٨) فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد سنة ١٩٧٦، ص٤٣.

(١٩) فخري، أحمد، مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق م، القاهرة سنة٢٠٠٤ص٢٣٠ وللمزيد من المعلومات حول العلاقات المصرية ـ الميتانيه ينظر في:-
- السعدي، حسن محمد محي الدين، المعالم الرئيسة لتأريخ مصر الفرعونية، الإسكندرية سنة ٢٠٠٥ ص٢١٦.
- سعد الله،محمد علي،في تأريخ الشرق الأدنى القديم(مصر ـ سوريا) الإسكندرية ٢٠٠٥ص٧٣.

(٢٠) إسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل، سنة ١٩٩٠ص ٣٥.
(٢١) الشمري، طالب منعم، المصدر السابق، ص٢٦٠.
(٢٢) زودن،ف.فون،مدخل إلى حضارات الشرق القديم،ترجمة فاروق إسماعيل ط،دمشق٢٠٠٣ص٦٣.
(٢٣) الشمري، طالب منعم، المصدر السابق، ص٢٦٠.
(٢٤) فرحان، وليد محمد صالح، المصدر السابق ص٤٤ وكذلك ينظر في:
- Gwayson.A.,k., Assyrian and Babylonian chronicles, c New York 1975,P.158.

(٢٥) سليمان، عامر، العلاقات السياسية الخارجية (حضارة العراق) ج٣ بغداد١٩٨٣ ص١١٩وكذالك ينظر في:
- فرحان، وليد محمد صالح، المصدر السابق ص ٤٤.

(26) Gelb, J.,I., Op.Cit,P.78

(٢٧) الصالحي، صلاح رشيد، المصدر السابق نص٢٤٢ وكذلك ينظر في:
- مرعي، عبد ومحمد حرب فرزات، دول وحضارات في الشرق العربي القديم ط١ دمشق ١٩٩٠م ص١٧١.

(٢٨) باقر، طه، تاريخ العراق القديم، ج١ بغداد، ١٩٨٣ نص٢١٨.
- مارغرون، جان كلود، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ط٢ ترجمة سالم سليمان العيسى، دمشق سنة ٢٠٠٦ ص ٧٩.

(٢٩) باقر، طه، تأريخ العراق القديم ج١ ص٢١٩.
(٣٠) سليمان، عامر، العراق في التأريخ القديم، ج٢ الموصل ١٩٩٣ ص٦٥.
(٣١) فرحان، وليد محمد صالح، المصدر السابق ص ٤٩.
(٣٢) المصدر نفسه ص ٥٢.
(٣٣) مرعي، عبد ومحمد حرب فرزات، المصدر السابق، ص١٧١ وكذلك ينظر في:
- باقر، طه، ((علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى القديم)) (سومر) م٤بغداد ١٩٤٨.

(٣٤) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١١٢.
(٣٥) الشمري، طالب منعم، المصدر السابق، ص٢٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

- المراجع العربية

(١) الأحمد، سامي سعيد، العصر البابلي القديم، العراق في التأريخ، بغداد ١٩٨٣ م.
(٢) الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، دراسة في التأريخ السياسي لبلاد الأناضول، بغداد ٢٠٠٧م.
(٣) باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج٢، ط٢، بغداد ١٩٥٦م.
(٤) باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ج١ بغداد ١٩٧٣ م.
(٥) باقر، طه، تأريخ العراق القديم، ج١، بغداد ١٩٨٣.
(٦) السعدي، حسن محمد محي الدين، المعالم الرئيسة بتأريخ مصر الفرعونية، الإسكندرية ٢٠٠٥.
(٧) سعد الله، محمد علي، تأريخ الشرق الأدنى القديم، الإسكندرية ٢٠٠٥.
(٨) سليمان، عامر، ((العلاقات السياسية)) حضارة العراق، ج٣ بغداد ١٩٨٣.
(٩) سليمان، عامر، ((العراق في التأريخ القديم))، ج٢، الموصل ١٩٩٣.
(١٠) صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، بغداد ١٩٨٧.
(١١) طه، منير يوسف وآخرون، ((علاقات الآشوريين بالأقاليم المجاورة))، موسوعة الموصل الحضارية، مج١، الموصل ١٩٩٣.
(١٢) فخري، أحمد، مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق م، القاهرة ٢٠٠٤.
(١٣) مرعي، عيد ومحمد عبد فرزات، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط١، دمشق ١٩٩٠.

(١٤) مرعي، عيد، تأريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق م، ط١، دمشق ١٩٩١.
(١٥) النجفي، حسن، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ج٢ ،بغداد١٩٨٣.

المصادر المترجمة

(١) دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج١، ترجمة ليون يوسف، بغداد ١٩٩٠.
(٢) رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد ١٩٨٤.
(٣) زودن، فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دمشق ٢٠٠٣.
(٤) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل ١٩٧٩.
(٥) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، بغداد ١٩٩٩.
(٦) كيرا، ادوارد، أكتبوا على الطين، ترجمة طه باقر، بغداد ١٩٦٢.
(٧) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بيروت ١٩٨٠.
(٨) مارغرت، جان كلود، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ط٢ ترجمة سالم سليمان، دمشق ٢٠٠٦.

- المراجع الأجنبية غير المترجمة

(1) Sibarrians, Chicago,1944. Gelb,J.L.,Hurriana and
(2) Speiser ,A.,the Hurrian Participation in the civilization of Mesopotamia, syeia and palestion Journal of world History, 1923
(3) Smith,S. The statue of Ldrimi, Talbot frame ,London 1949.
(4) Http://upload.wikimedia.org/Wikipedij/commons/c/cb/mittanni
(5) www.Http:/upload.Wikimedia.org/Wikipedia/commohs/c/cb/mitanni.
(6) Wilhelm,G.,Grundzuge der Geschichte und Kuitur der Hurriter. Darmstadt, 1982

- الرسائل والأطاريح الجامعية

(١) إسماعيل، شعلان كامل، العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل ١٩٩٠.
(٢) الخالدي، فارس عجيل، التطورات الداخلية في بلاد بابل ٨٥٨ ـ ٦١٢ق م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ٢٠٠٥.
(٣) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر ةالحادي عشر قبل الميلاد، أطروحو دكتوراه غير منشورة، بغداد ١٩٩٦.
(٤) المحمدي، زياد عويد زيدان، التطورات السياسية في بلاد الرافدين ١٣٦٥ ـ ٩١١ق م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ٢٠٠٤.
(٥) رهمة، أحمد لفته، الفعاليات الآشورية في آسيا الصغرى، رسالة ماجستير غير منشورة، القادسية ٢٠٠١.
(٦) فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٧٦.

- الدوريات

(١) باقر، طه، ((علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى القديم))، مجلة سومر، العدد ٤، بغداد ١٩٤٨.